القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة حنين

عبد الحميد جودة السحار

٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَيَوْمَ
حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ،
وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ
مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(قرآن كريم)

١

انتشَرَ الإسلامُ فى مكة ، وقَوِىَ المسلمون ، وَبَقِيتْ قبيلَةُ هَوازِن ، وهى قَبيلَةٌ قَوِيَّةٌ تسكُنُ جَنُوبِىَّ مكة ، على دينِها ، ولَمّا كان أهْلُ هَوازِنَ رجالَ حَرْبٍ وقتال ، فكّروا فى أن يُحارِبُوا المسلمين ، فاجْتَمَعَ رؤساءُ هوازِنَ وثَقِيف ، وتشاوروا فى الأمرِ ، وقَرَّرُوا تجهيزَ جيشٍ قوِىّ ، يقضِى على الإسلامِ قبلَ أن ينتشِرَ فى جَزِيرَةِ العرَبِ كلِّها .

بَلَغَ رسولَ الله ﷺ ، اتّفاقُ هَوازِنَ وثَقِيفَ على مُحارَبَةِ المُسلِمين ، فأرسَلَ رجُلاً يَرَى له الأمْرَ ، فما كانَ رسولُ اللّه يُحِبُّ أن يَبْدَأَ بالعُدوان ؛ إنّه لم يُحارِبْ إلاّ لِرَدِّ الاعتداء ، والدِّفاعِ عن النَّفس : فَفِى غَزوةِ بدرٍ جاءَتْ قريشٌ إلى المدينةِ لقتالِه ،

فكان عليه أن يُقاتِلَ دِفاعًا عن المسلمين ، وفى أُحُدٍ جاءَت قريشٌ لتثأرَ لهَزيمةِ بدر ، وفى غَزْوَةِ الخَنْدق جاءَت العربُ واليهودُ للقضاء على الإسلام ، فكان يحارِبُ للدفاعِ عن الإسلامِ ، ولَمْ يَبدَأْ بالعُدوان أبَدا ، فلمَّا عادَ إليه الرَّجُلُ الذى أرْسَلَه ، وأخبَرَهُ أنَّ هوازِنَ وثقيفًا تستَعِدَّانِ لحربه ، أمَرَ بتجهيزِ جيشٍ عظيمٍ حتى لا يُفاجَأ بالهجومِ عَليه .

وخَرَجَ رسُولُ اللّه فى عشْرَةِ آلافِ مُقاتِل ، وانضَمَّ إليهِ أبو سُفيانَ فى ألفَينِ من المُقاتلين ، وقَدَّمَ أهلُ مكةَ إلى رسولِ الله ﷺ أسلِحَةً كثيرة ، فأصبَحَ جيشُه عظيمًا ، يُنزِلُ الرُّعْبَ فى قُلُوبِ أعداء المسلمين .

٢

اجتَمَعَ إلى هَوازِنَ من القبائِلِ جموعٌ كثيرة ، فيهم بنو سَعد ، وهمُ الذينَ كانَ رسولُ اللّه ﷺ

مستَرضَعًا فيهم ، وحضَرَ معهم قائِدُهم ، وكانَ شُجاعًا مُجَرَّبًا ، ولكنّه كَبِرَ وعَمِى ، وصارَ لا يُنْتَفعُ إلاّ برأيه ، وكانَ زَعِيمَ هوازِنَ مالِكُ بنُ عَوف ، وكانَ عُمْرُه ثلاثينَ سَنة ، فكان فيه دَفْعَةُ الشَّباب ، فأمَرَ المقاتِلينَ بأخْذِ أموالِهم ونِسائِهم وأبنائِهم معهم ، فلما جاءَ المحارِبُون ومعهم نساؤهم وأولادُهم وأغنامُهم ، قال زعيمُ بنى سعد متعجِّبًا :

ـ مالى أسمَعُ نهاقَ الحَميرِ ، وبُكاءَ الصغِير ، وخُوارَ البَقَرِ ؟

فقالوا له : « ساقَ مالِكُ بنُ عَوفٍ مع الناسِ أموالَهم ونِساءَهم وأبناءَهم » .

فقال الشيخُ الأعمى :

ـ أينَ مالِك ؟

فجاءَ إليه مالِك ، فقال الشيخ :

ـ مالى أسمَعُ نُهاقَ الحَمير ، وبُكاءَ الصَّغِير ، وخُوارَ

البقر ؟

فقال له مالِك :

– سُقْتُ مع الناسِ أبناءَهم ونِساءهَم وأموالَهم .

– ولِمَ ؟

قال مالِك : « أرَدْتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجُل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم » .

فزجَرَه الشيخ ، وطلَبَ منه أن يُبعِدَ النساءَ والأموال ، وقال له : إنَّه إذا انتصرَ لا ينفعُه إلاَّ رجلٌ برمحِه ، وإذا انهزمَ فُضِحَ فى أهْلِه ومالِه .

فقال له مالِك :

– واللّه لا أطِيعُكَ ، إنَّك قدْ كَبِرْتَ وضَعُفَ رأيُك .

وتركَ الشيخُ المُحَنَّكُ مالكا ، وعاد إلى أهلِ .

رَفَضَ مالكٌ أن يستَمِعَ إلى رأيه ، فرفضَ الشيخُ أن

يشترِكَ معه فى القِتال ، وجعلَ مالِكٌ النّساءَ فوقَ الإبِل وراءَ المُقاتِلةِ صفوفا ، ثم جعلَ الإبِلَ صفوفا ، والبقرَ صفوفا ، والغنمَ صفوفا ، حتى لا يفرّ الرجالُ إذا هَجمَ عليهم جيشُ المسلمين .

٣

تَقَدَّمَ جيشُ المسلمين ، وكان عليه أن يتقدّم فى مَضيقٍ ضيِّق ، ليصِلَ إلى الوِديانِ الفسيحة ، خلْفَ جبالِ أوطاس ، حيث وقفَ مالِكٌ ومن معه من هوازِنَ وثَقِيف ، والنّساء والإبِلِ والبقرِ والغنم ، وهذا المَضيقُ هو حُنَين ، وهو مكانٌ مُظلِم ضيِّق ، لا يسمَحُ إلاّ بمرورِ جماعاتٍ صَغيرة ؛ وكانت جوانِبُه شديدة الانحِدار ، فوقَفَ بعضُ رجالِ مالكٍ على الجبال ، ينتظِرُون قُدومَ المسلِمين .

وجاء رجلٌ إلى رسول اللّه ﷺ ، وقال :

ـ إنَّ هَوازِنَ بشبابِهم وأموالِهم اجتَمَعُوا عِندَ حُنين .

فَتَبَسَّمَ ﷺ ، وقالَ في ثِقَة :

ـ تِلكَ غَنِيمَةُ المسلِمينَ غدًا إن شاءَ اللّه .

وأعْطَى رسولُ اللّه ﷺ عليًّا لواءَ المهاجِرين ، وأعطَى سعدَ بنَ أبي وَقّاص راية ، وأعطى عُمَرَ بنَ الخطّابِ راية ، وأعطى رجُلاً من الأنصارِ راية ، وركِبَ بغْلَته ، وأمَرَ جيشَ المسلِمينَ بالتّقَدُّم ، وكانَ على رأسِ فُرسانِ المسلِمينَ خالِدُ بنُ الوليد .

كان الوَقتُ صُبحا ، فكان الظلامُ يسودُ مَضيقَ حُنَين ، فَلَمَّا تَقَدَّمَ المسملونَ ليجتازُوا المَضيق ، ألْقَى رِجالُ هوازنَ عليهم الصخورَ من فَوق الجبال ، ورموهم بالنّبال ، ثم هجمُوا على المسلمينَ

بأسيافِهم، فرجَعَ المسلمونَ مهزومين .

ساءَ النَّبِىَّ ﷺ ، أن يَدِبَّ الخوفُ فى قُلوبِ المسلمين ، وأن يَفِرُّوامذعُورِين ، فَثَبَت ، ووقَفَ معه علىٌّ وأبو بكر وعمُّه العباس ، وأصحابه ؛ ولم يكتَفِ بالثَّبات ، بل تَقَدَّمَ وحدَه إلى الأعداء وهو يقول :

أنا النَّبِىُّ لا كَذِبْ.أنا ابنُ عَبدِ المطَّلِبْ . فأسْرَعَ إليه عَمُّه العبَّاس ، وأمسَكَ بزمامِ بَغلَتِه ، وراحَ يدعُو المسلِمينَ لنُصْرَةِ رسولِ اللّه ، وكانَ العبَّاسُ جَهِيرَ الصَّوت ، فراح صَوتُه يَرِنُّ فى الوادِى :

ـ يا مَعْشَرَ الأنصارِ الذينَ أوَوْا ونَصرُوا ، يا مَعْشَرَ المهاجِرينَ الذينَ بايَعُوا تحتَ الشَجَرة ، إنَّ محمَّدًا حىٌّ فهَلُمُّوا .

وخَجِلَ المسلمونَ من فِرارِهم ، وتَركِهم رسولَ

اللّه وحدَه فصاحُوا من كلِّ جانِب :

- لَبَّيكَ .. لَبَّيك .

والتَفَّ النَّاسُ حولَ رسولِ اللّه ﷺ ، فالتَفَتَ عن يمينِه وقال :

- يا مَعْشَرَ الأنصار .

قالوا : « لَبَّيكَ يا رسولَ اللّه ، أبشِرْ نحنُ معك ».

والتفتَ عن يسارِه ، فقال :

- يا مَعشَرَ الأنصار .

قالوا : « لبيكَ يا رسولَ اللّه ، أبشِرْ نحنُ معك ».

وتقدَّمَ المسلِمُونَ يحـاربون ، حتى أخْرَجُوا رجالَ هَوازِنَ من ذلك المضيقِ الضيِّق ، ودارت المعركةُ فى السَّهلِ المنبسط ، فانْقَضَّ خالدٌ وفُرسانُه على أعداء المسلمين يقتُلونَهم ، وراحَ رسولُ اللّه ﷺ يقول :

ـ حم ، لا يُنْصَرُون .

واستَمَرَّتِ المعرَكةُ شديدة : علىٌّ بنُ أبى طالب يضرِبُ الأعداءَ بسيفِه ، وخالدُ بنُ الوليدِ يُذيقُهم الموت . والمسلمونَ يحارِبونَ فى سبيلِ دينِهم ، وبَذلَ رجالُ هوازِنَ ما فى طاقتِهم ليثبُتوا ، ولكنَّ هُجومَ المسلِمينَ كان عنيفا ، فاضطرُّوا إلى الفِرار ، وتَرْكِ النِّساء والأطفالِ والأموال ، لتقَعَ غَنيمةً فى أيدى المسلمين .

٤

وقَعَ فى أيدِى المسلمين أربَعةٌ وعشرونَ ألفَ رأسٍ من الغنم ، وأربَعةُ آلافِ أوقيةٍ من الفِضَّة ، غيرَ ستةِ آلافِ أسير ، وفَرَّ مالِكُ بنُ عَوف ، الذى صَفَّ النِّساءَ والإبِلَ والغَنَمَ وراءَ المقاتِلينَ حتى لا يَفِرُّوا ،

فَرَّ من المعركة ، ولم ينفعْهُ رأيُه ، وذهَبَ إلى حُصُونِ الطائِفِ واحْتَمَى بها .

وبلَغَ رسولَ اللّه ﷺ ، أنَّ مالِكَ بنَ عَوفٍ ومن معه دَخلُوا حصونَ الطائِفِ ، وأنَّهم أخَذُوا معهم من القُوتِ ما يَكْفِيهِم سَنَة ، فأَمَرَ رِجالَهُ أن يذهَبُوا إلى الطائِف ، لِقِتالِ مالِك ، فَتَقَدَّمَ خالِدُ بنُ الوليد وفُرسانُه جيوشَ المسلِمين ، حتى إذا بَلَغُوا الحِصْنَ حاصَرُوه ، فأخَذَ مالكٌ ومَن معَه يرمُونَ المسلمينَ بالنَّبلِ ، فأُصِيبَتْ عَينُ أبي سفيانَ بن حَرْب ، وأُصِيبَ كثِيرٌ من المسلمين .

وتَقَدَّمَ خالدُ بنُ الوليدِ من الحِصن ، وصاح :

– مَن يُبارِز ؟

فَلم ينزِلْ إليهِ أحد ، وصاحَ رجُل :

- لا ينزِلُ إليك منّا أحَد ، ولكنْ نُقيمُ فى حِصْنِنا، فإنَّ به من الطَّعامِ ما يكفينا سِنين ، فإن أقَمْتَ حتى يذهبَ هذا الطَّعامِ ، خرجْنا إليكَ بأسيافِنا جميعا ، حتى نموتَ عن آخِرِنا .

وصَنَعَ سَلمانُ الفارِسىُّ المَنجَنيق ، وهو آلةٌ تقذِفُ الحِجارَة الكبيرة ، وراحَ المسلمونَ يرمُونَ الحجارة بالمَنجَنيق ، ليهدِمُوا الحِصْن ؛ ودخَلَ بعضُ المسلمينَ تحت دَبَّابَتَين ، وزَحَفُوا بهما إلى جِوارِ الحصنِ ليُحْرِقُوه ، والدَّبَّابَة آلةٌ من آلاتِ الحرب ، يدخُلُ فيها الهاجمون ، اتّقاءَ سهامِ الأعداء ؛ فَراحَ أهلُ ثقيفٍ يرمُونَ الزَّاحِفينَ تحتَ الدَّبَّابَتينِ بقُضبانٍ من حديد ، مُحماةٍ بالنار ، فخرجُوا من تحتِها فرَمَوهم بالنَّبل ، فقتِلَ منهم رجالٌ وأُصيبَ آخَرون .

وطالَ حصارُ الحصن ، وسألَ رسولُ اللّه رجُلاً من أصحابِه عن رأيِهِ فى ذلكَ الحِصار ، فقال الرجل:

- يا رسولَ اللّه ، ثَعْلَبٌ فى جُحْر ، إنْ أقَمْتَ أخَذْتَه ، وإنْ تركته لم يَضُرّك .

لم يخرُجْ رسولُ اللّه إلى هَوازِنَ إلاّ لدَفْعِ العُدوان ، إنّه لا يُرِيدُ قتلَ النّاس . انتصرَ على هوازِنَ حتى لم يَعُد يخشى أن يَغْزُوه ، لذلكَ أمَرَ برفعِ الحِصار ، فأخَذَ المسلمونَ يرحَلُونَ وهم يقولون :

- يا رَسولَ اللّه ادْعُ على ثَقِيفٍ أهل الطّائِف .

لم يكنْ رسولُ اللّه يُحِبُّ أن يدعُوَ على النّاسِ بالسرّ ، فما أرْسَلَه اللّه إلاّ لِهدايَةِ الناس وسعادَتِهم ، فَدَعا رسولُ اللّه ﷺ :

ـ اللّهمّ اهدِ ثَقِيفا ، وأْتِ بهم مُسلِمِين .

٥

جاءَتِ امرأةٌ أسِيرَةٌ تقولُ للمسلِمين :

ـ أنا أختُ صاحِبِكم .

فكانوا يعجَبُونَ من قَولِها ، فما كانَ لرسُولِ اللّه ﷺ إخوةٌ أو أخَوات ، فكانت تقول :

ـ واللّه إنّى أختُ صاحبِكم .

فأخَذُوها ، وأتَوا بها رسولَ اللّه ، فقالت :

ـ أتَعرِفُنِى ؟

فقال لها رسولُ اللّه ، وهو ينظُرُ إليها :

ـ لا أُنْكِرُك ، فمَن أنت ؟

ـ أنا أختُك ، بنت أبى ذُؤيب .

كـانت بنـتَ حليمَـةَ السـعدِيَّة ، فهِيَ أختُــه مــن الرَّضاعَةَ . فقامَ ﷺ لهـا قائِمـا ، وبَسَـطَ لها رِداءَه ، وأجْلَسَها عَلَيه ، ودَمَعَتْ عَيناه ، وسألَها عن حَلِيمَة، وعن زوجِها الحارِث ، فأخْبَرَتْهُ بموتِهما .

وجاءَ وَفْدٌ من هَـوازِنَ إلى رسـولِ اللّـه ﷺ ، وأعْلَنُوا إسلامَهم ، ودَخَلُوا فى دِينِ اللّه ، فَقَـد استَجابَ اللّه دُعاءَ رسُولِه ، يومَ طَلَبَ المسلمونَ منه أن يَدعُوَ على ثَقِيف : « اللَّهمَّ اهدِ ثَقِيفا ، وأْتِ بهم مسلمين » .